## من وعي الحياة الى وعي الموت

# محاولة لفهم عالم تاركوفسكي السينمائي

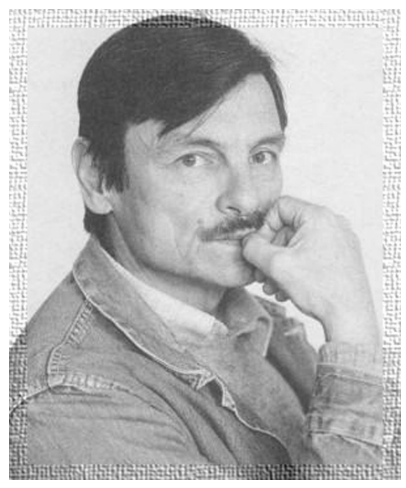

(تشرنوبل) التي اشتهرت في العام ١٩٨٦ بعد إنفجار احد المفاعل النووية في محطتها.، وحينما عرض الفيلم في مهرجان (كان) حصل على جائزة إتحاد النقاد السينمائيين العالمية (فيبريسي). بعد هذا الفيلم يحضر تاركوفسكي لمشاريع عدة، منها إخراج مسرحية (هاملت) لشكسبير، واخراج رواية (ذئب البراري) للكاتب الألماني (هيرمان هيسه)، ورواية (المعلم ومارغريتا) لبولغاكوف، ورواية (الجريمة والعقاب) لدويستوفسكي فيلم قصير عن حياة (كافكا) وكذلك (أفلمة) حياة وأعمال الكاتب الألماني الكلاسيكي (هوفمان).. لكنه لا يستطيع ان يحقق من كل هذه المشاريع سوى إخراجه لمسرحية (هاملت) على خشبة المسرح الفني بموسكو، حيث أدى الادوار الرئيسة فيها الممثل الرائع (أنتوني سولونيتصين)، الذي أدى أدوار البطولة في فلميه (أندريه روبلوف) و (ستالكر)، وكذلك الممثلة (مارغريتا تيروخوفا)، التي أدت دور الأم في فلمه (المرآة).

ويعتبر فيلم (ستالكر) إنعطافة مهمة وكبيرة في مسيرة تاركوفسكي الإبداعية.

فهو يكتب في يومياته بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٧٨: (هذا الفيلم جديد نوعا ما بالنسبة لي لأنه بسيط من ناحية الشكل، وكذلك تقليدي من ناحية ربط الوظائف الفيلمية. إنه فيلم عن تجسيد الإلهي في الإنسان،.. عن إنهيار الروحانية بسبب سيطرة العلوم المزيفة.،. أنا خائف من المستقبل،.. من الصينيين، من الطوفان.. من قيامة الشؤم والدنس..يا آلهي أمنحني القوة على الإيمان بالمستقبل)..!!ويكتب ايضا بتاريخ ١٠ شباط ١٩٧٩: (يا آلهي..إنني أشعر بقربك مني..أشعر بيدك الرحيمة تمس رأسي، إنني أريد أن أرى عالمك مثلما خلقته أنت.. والناس مثلما إبتدعتهم أنت بقدرتك..إنني أحبك يا آلهي،.. أحبك بلا طمع في شيء، غير ان رذائل غضبي وآثامي، وعتمة روحي الدنيئة، هي التي تعيقني من أن اكون خادمك الجدير والمقتدر..يا آلهي ساعدني، وأعف عني يا آلهي..)..، وفي مكان آخر يكتب: (ولكن ما هو الاختلاف بين توماس مان ودستويفسكي..؟ الإلحاد؟ ربما..إن توماس مان (يفهم) تقريبا الكثير عن (الله) بينما دستويفسكي يريد ذلك لكنه لا يستطيع أن يؤمن بالله).

بهذا الهاجس أخرج تاركوفسكي فيلم (ستالكر).

❖ في هذا العام نفسه يسافر الى ايطاليا للاتفاق على إخراج فيلم (رحلة الى ايطاليا)، والذي غير أسمه الى (الحنين - نوستالجيا). وهناك يلتقي أنتونيوني، فليني، وروزي.

وهناك يبدأ تصوير المشاهد الخارجية من الفيلم. يكتب في يومياته بتاريخ ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٩: (أشعر أنني وحيد، وهذا الشعور يكون مرعبا حينما تعي بأنك وحيد، وأن هذه الوحدة تعني الموت..إن الجميع خانوني أو يخونونني، إنني وحيد كليا..لا أود أن أعيش..

إنني خائف.. أصبحت الحياة بالنسبة لي لا تطاق..!).

❖ في العام ٨٢-١٩٨٣ ينهي إخراج فيلمه (الحنين، نوستالجيا) الذي كان قد قرر في بداية الأمر منح دور البطولة فيه للممثل (سولونيتصين)، إلا ان الممثل يموت بداء السرطان فيضطر الى منح دور البطولة الى الممثل (أوليك يانكوفسكي)، ومنذ ذلك الحين يستقر تاركوفسكي في منفاه الإختياري، إذ قرر عدم العودة الى الاتحاد السوفيتي. وكان إتخاذ مثل هذا القرار منطقيا، لا سيما حينما يتعرف المرء على طبيعة الحياة القاسية التي كان يعيشها مع عائلته، سواء من الناحية المادية، أو بسبب المضايقات التي كان يتلقاها من قبل المسؤولين الذين كانوا يسعون دائما الى إعاقة عمله الإبداعي. وقد دون في يومياته تفاصيل مؤثرة عن حياته وهمومه.

❖إلا ان تاركوفسكي سرعان ما يغير منفاه متنقلا ما بين ايطاليا وفرنسا والسويد. وفي لندن يتمكن من إخراج أوبرا (بوريس غودنوف)، وهي مسرحية شعرية ل(بوشكين)، وضع الموسيقى لها (موسورسكي). وقد كتب في يومياته بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٨٣ ما يلي:

(خوف..إنني ضائع..إنني لا أستطيع العيش في روسيا..ولكن هنا لا أستطيع أيضا..).

وحينما يعرض فيلم (الحنين، نوستالجيا) يحصل على جوائز عالمية عديدة، يتفق بعدها مع جهات فرنسية وسويدية على إخراج مشروع قديم له باسم (الساحرة)، والذي يغير الى (التضحية) أو (القربان). وفي العام ١٩٨٥ يحصل على منحته من الأكاديمية الألمانية للشؤون الأجنبية (DAAD) ويحل ضيفا على (دار تعليم الفن) في برلين. وفي هذه الفترة تظهر عليه علامات السرطان، لكنه لا يدرك ذلك فيبدا عمله في فيلمه الأخير (التضحية) او (القربان). فيغادر برلين سريعا، ويكتب في يومياته بتاريخ ٨ آذار ١٩٨٥ ما يلي:

(إن برلين مدينة مرعبة لا تطاق.. يجب أن أغادرها باسرع وقت). وفي نفس العام يصدر كتابه (الزمن المطبوع) بالألمانية قبل ان ينشر بالروسية، وهو تأملات حول الفن وحول جماليات السينما، من خلال تجربته الشخصية. يعرض الفيلم الأخير له في مهرجان (كان) السينمائي ويحصل على جائزة اتحاد النقاد العالمي، فيكتب في يومياته: (إنني تعبان..لا أستطيع العيش بدون إبني (اندريوشا)، ليست لي رغبة في الحياة). ويكتب بتاريخ ١٠ تشرين الثاني من نفس العام: (لقد وصلتني أخبار سيئة من موسكو..إنه ليوم مرعب..سنة مرعبة..يا آلهي قف الى جانبي). وفي العام ١٩٨٦ يشتد به المرض، فينتقل بين المستشفيات، ما بين (اوشل برون) في جنوب المانيا، ومستشفى السرطان في باريس. فيكتب بتاريخ ٥ كانون الأول من العام ١٩٨٦: (أحس بالفزع.. لا أستطيع مغادرة سريري، بل لا استطيع الجلوس في الفراش..آلام في العمود الفقري والظهر..كذلك الأعصاب..لا استطيع تحريك أطرافي..ذراعاي تؤلماني أيضا..إنني ضعيف جدا..أسوف أموت..؟؟ هاملت، ليست لدي القوة لعمل أي شيء..). وقبل وفاته بأسبوعين كتب: (هاملت..، كل شيء على الفراش..سوف أموت..لا أستطيع أن اعمل شيئا..هنا المشكلة..؟!). وفي ٢٩ كانون الأول من العام ١٩٨٦ يقضي تاركوفسكي نحبه بداء السرطان في المستشفى بباريس، ويدفن هناك.

بعد وفاته تصدر الجهات السوفيتية نعياً رسميا عنه، وتخصص مجلة (فن السينما) عدداً عنه، ويرفع المنع عن أفلامه، إذ ان السلطات السوفيتية، بعد طلبه اللجوء في ايطاليا في العام ١٩٨٣، سحبت افلامه والغيت من الدراسة في معهد السينما بموسكو.(وكنت حينها طالبا في السنة الثالثة، واردت أن اكتب دراسة عن إشكالية الزمان في أفلام تاركوفسكي، وطلبت من إدارة المعهد مشاهدة فلمي (المرآة) و (سولاريس)، فاعتبرت ذلك مشاكسة مني لكني بعد أخذ ورد، وبمساعدة مشغلي ماكنة العرض، استطعت مشاهدة جميع افلامه خفية، وكنت قبل رحيله قد التقيته لمرتين في إستوديوهات (موسفيلم)، المرة الأولى في العام ١٩٨٠، وكان لقاء عابرا، أما المرة الثانية فكان في العام ١٩٨٢، حينها تقدمت منه وقدمت له نفسي باعتباري من طلاب معهد السينما في موسكو، ومن المعجبين بافلامه، فسألني عن السينما في البلاد العربية والشرق عموما، وأتذكر إنني سالته عن تأثير دستويفسكي وتولستوي عليه، فسر بالسؤال، وأجاب بكثافة وتركيز عن ذلك.

❖ خلال حياته تزوج أندريه تاركوفسكي لمرتين، المرة الأولى من الممثلة (ارما راوش) التي مثلت في فيلم (طفولة إيفان) دور الأم، وفي فيلم (أندريه روبلوف) بدور المجنونة، وقد أنجبت له صبيا. وفي المرة الثانية تزوج من (لاريسا بافلوفنا) والتي إستمرت معه الى آخر لحظات حياته، وقد انجبت له إبنا أيضا، وكانت زوجته الثانية قد عملت معه كمساعدة في أفلامه (المرآة)، (سولاريس)، و(الحنين، نوستالجيا)، كما أشرفت على إصدار يومياته بالألمانية، والتي أعتمدت عليها هنا في هذه الدراسة.

❖ مثل تاركوفسكي أثناء حياته أدوارا قصيرة في السينما حيث ادى دورا قصيرا كضيف في فيلم (عمري عشرون عاماً) لمارلين خوتسيف في العام ١٩٦٤، وفي فيلم (سيرجي لازو) للمخرج الكسندر كودرون في العام ١٩٦٧، كما عمل مونتيرا لعدد من الأفلام.

### عالم تاركوفسكي

قال مكسيم غوركي ذات مرة: (إن الأدب الروسي هو أدب السؤالين: من المسؤول؟ وما العمل؟؟. هذه الدقة النادرة والنظرة الثاقبة لواحد من أعمدة الأدب الروسي هل ستساعدنا عند تلمسنا للأسئلة التي تطرحها افلام تاركوفسكي.. ربما!!.

في كتاب (اندريه تاركوفسكي) الصادر عن منشورات (هانزر - سلسلة الأفلام) والمرقم ٣٩ لعام ٨٧-١٩٨٨، وفي محاولة لتفسير أفلام تاركوفسكي، كتب بعض النقاد الألمان، وبشكل رائع عن المرجعيات الأدبية لتاركوفسكي، مستندين الى إرث الأدب الروسي (أخص هنا مقال هانس.ي. شليغل، ودراسة ايفا ماریاشمیت)، وتوقفوا عند الرمزية الروسية بالذات والتحديد. إلا ان الإشكال، في رأيي، يكمن في أن التوقف عند حدود الرمزية الروسية في بداية هذا القرن، والإعتماد عليها في تفسير رموز تاركوفسكي وإستعاراته الجمالية ليس بكاف (رغم الالتفاتة الرائعة من قبل ايف ماريا شميت لربط حالة الصرع في فيلم (الحنين، نوستالجيا) باعمال دستويفسكي) من حيث:

أولا: إن الرمزية الروسية ذاتها كانت تضم تحت لوائها عددا من الشعراء والكتاب غير المتجانسين فكريا أو إبداعيا. وقد يكون تاركوفسكي قد إقترب من عالمهن واستخدم بعض رموزهم أو طرح بعض أسئلتهم عن الجمال المطلق، الحق المطلق، النقاء المطلق، وعناصر الأشياء، لا انني أختلف معهم في انه أستخدم (منطقهم)، من حيث ان تاركوفسكي فنان جدلي، لا يحب الإستعراض، وربما يلتقي معهم في بعض جوانب (منطقهم) الفني، لكنه يختلف عنهم في سجاله وفهمه لهذا المنطق، فهو اكثر رحابة، وربما يلتقي معهم في معالجة بعض جوانب الصراعات الروحية ذات الطبيعة المسيحية، لكنه يختلف عنهم في ان عالمه أكثر حسية منهم، فهو مليء بالماء، الفواكه، الأشجار،الجذور، الجياد البيض والسود، الشمس والضباب والمطر، وليس هناك من أشباح وظلام وجحيم سوى داخل النفس، وليس على الشاشة.

ثانيا: إن تاركوفسكي اقرب الى الأدب الروسي الكلاسيكي وتقاليده العريقة، اقرب الى تولستوي ودستويفسكي وتشيخوف وليونيد اندرييف منه الى الرمزيين الروس..!

ثالثا: إن محاولة تفسير افلام تاركوفسكي استنادا الى الأدب والتأثيرات الأدبية فقط هي محاولة قاصرة ومغلوطة من الأساس اذا لم يتم أخذ تاريخ السينما السوفيتية والعالمية، وتقاليدها، وموضوعاتها وجمالياتها بالحسبان، فهو نتاجها، إذ ان تاركوفسكي سينمائي وليس شاعرا او كاتبا، او فيلسوفا.

(١-٢)

بُرهان شاوي

### تاركوفسكي.. المسيرة الإبداعية

❖ ولد أندريه أرسينوفج تاركوفسكي في ٤ نيسان من العام ١٩٣٢ في قرية (زفراشيا) قرب مدينة (ايفانوفا) شمال شرقي موسكو. وهو الشاعر والمترجم المعروف ارسينيا تاركوفسكي. والدته مايا ايفانوفنا فيشناكفا. لكن بعد إنفصال والديه، عاش اندريه واخته عند امهما التي اخذت تعمل كمصححة في إحدى المطابع.

❖ في العام ١٩٣٩ بدأ التعليم في المدرسة الإبتدائية بموسكو، ولكن عند بداية الحرب قطع دراسته ورجع الى قريته عند امه، ولكن خلال فترة الحرب كانت العائلة مضطرة لإخلاء المكان، فعاشوا عند أقرباء لهم لفترة من الوقت. وفي العام ١٩٥١ بدأ الدراسة في معهد موسكوللدراسات الشرقية، لكن بسبب إصابته بإرتجاج في الدماغ قطع دراسته قبل إنهائها، ثم أصبح عاملا في حلقة للبحث العلمي في معهد الذهب بجمهورية قرغيزيان حيث عمل ما يقارب السنة عند نهر (كوريكا) في إقليم توروخان.

❖ في العام ١٩٥٤ بدأ دراسته بمعهد السينما لعموم الإتحاد السوفيتي بموسكو (فكيك)، وتتلمذ على يد المخرج والمنظر السينمائي الكبير(ميخائيل روم) الذي يعد أهم معلميه. كما يبدأ في تلك الفترة بتحليل أفلام المخرج الأسباني السوريالي (لويس بونويل) والسويدي (إنغمار بيرغمان)، ويبدا صداقته الأبداعية مع (اندريه ميخائيلكوف-كونجلوفسكي) الذي هجر الاتحاد السوفيتي الى أميركا فيما بعد، لكنه عاد بعد سقوط النظام السوفيتي لاحقا، فكتبا معا سيناريوهات سينمائية مشتركة منها: (ملعب التزحلق والكمان) و(اندريه روبلوف).

وفي العام ١٩٥٩ حقق مع (الكسندر كوردون) فلما تلفزيونيا هو (اليوم لن تكون إستقالة).

❖ في العام ١٩٦٠ ينهي دراسته بمعهد السينما ومعه دبلوم في الإخراج، وكان فلم تخرجه هو (ملعب التزحلق والكمان)، والذي فاز بالجائزة الأولى في مهرجان الأفلام الطلابية الذي أقيم في نيويورك في العام ١٩٦١، وفي العام ١٩٦٢ ياخذ على عاتقه مواصلة لإخراج فيلم (طفولة إيفان) الذي كان قد بدأته مؤسسة السينما (موسفيلم) عن قصة للكاتب (فلاديمير بكومولوف)، وكانت المؤسسة قد أوقفت عمل المخرج (أبالوف) فيه. فأعد تاركتوفسكي سيناريو جديداً للفيلم، وبعدما أنهاه، اشترك به في مهرجان البندقية السينمائي لعام ١٩٦٢ فحاز بالجائزة الأولى.وكذلك فاز بجائزة النقاد البولونيين وفي العام ١٩٦٣ فاز الفيلم بأربع جوائز عالمية أخرى. وبعد هذا الفيلم كتب النقاد الغربيون عن تاركوفسكي بأنه أهم مخرج سينمائي روسي، كما كتب (جان بول سارتر) عن هذا الفيلم دراسة طويلة.

(١)

❖ في العام ١٩٦٤ يبدأ تاركوفسكي في تصوير فيلم عن حياة رسام الأيقونات (اندريه روبلوف)، والذي إستطاع إنهائه بعد جهد في نهاية العام ١٩٦٦ وتجهيزه للعرض، لكن الفيلم تعرض للنقد الحاد من قبل اللجنة الرسمية لمؤسسة السينما والتي تضم عادة عددا من المسؤولين الشيوعيين الحزبيين من السينمائيين، حيث تم الإعتراض على عرض تاركوفسكي لمسار الأحداث التاريخية، وكذلك على مشاهد العنف فيه، فتقرر حذف مشاهد عديدة منه، وكرد فعل يقوم تاركوفسكي بالحذف ويبالغ فيه. ورغم ذلك تعطل عرض الفيلم، فلم يجد طريقه للعرض الجماهيري إلا بعد سنوات، فاحتجاجا على الموقف السوفيتي الرسمي من فيلم (اندريه روبلوف) يعرض في العام ١٩٦٩ خارج المسابقة الرسمية بمهرجان (كان) ويحصل على جائزة النقاد العالمية. وفي العام ١٩٧١ فقط يعرض الفيلم في دور العرض السوفيتية، وبعد عامين، أي بعد سبع سنوات من إنجازه، تقرر الجهات الرسمية إدراجه ضمن أفلامها للبيع خارج البلاد!!. وقد جاء في مذكرات تاركوفسكي ان جريدة (اللومانتيه) أجرت في ٢١ شباط من العام ١٩٧٢ لقاء مطولا مع الشاعر الفرنسي (آراغون) بمناسبة عيد ميلاده، فسئل عن أحب الافلام لديه، والتي يود مشاهدتها بسرور، فسمى أحد أفلام المخرج (غودار)، وفيلم (اندريه روبلوف) لتاركوفسكي.

❖ منذ بداية العام ١٩٦٨ ينشغل تاركوفسكي بالإعداد والتخطيط لفيلم مغامرات علمية بالإستناد للرواية العلمية الخيالية (سولاريس) للكاتب البولوني (ستانيسلاف ليم). وفي العام ١٩٧١ يبدأ بتصوير فيلم (سولاريس)، كما يبدأ بكتابة يومياته ومذكراته والتي نشرت بالألمانية قبل الروسية بعد موته!! وفي مذكراته، التي إعتمدنا عليها ايضا عند كتابة هذه السيرة الإبداعية، يكتب تاركوفسكي عن هموم العمل ومعاناته من البيروقراطية السوفيتية، خاصة داخل مؤسسة السينما. وبالرغم من ان المذكرات جاءت متوترة في بعض صفحاتها وغير منصفة بحق البعض أحيانا، لكنها رغم ذلك تبقى شهادة قوية ومؤثرة ضد كل هؤلاء عديمي الموهبة وأشباه المثقفين الذين يحتلون مراكز، ومواقع إدارية وحزبية كبيرة، هؤلاء الذين يحاولون ان يؤطروا عمل الفنان المبدع ضمن ايديولوجيتهم المادية..! وحينما ينتهي من العمل في فيلم (سولاريس) يعرض في مهرجان (كان) بصفة رسمية باعتباره الفيلم السوفيتي الرسمي فيحصل على جائزة النقاد، وكذلك يحصل على جائزة مهرجان لندن، وجوائز أخرى.

❖ منذ بداية السبعينيات يعد تاركوفسكي الخطط والمشاريع لإخراج أفلام عديدة. وكما كتب في مذكراته بتاريخ٧ تشرين الأول من العام ١٩٧٠، فأنه يعد لموضوعات عن: ١) عالم فيزيائي يتحول الى ديكتاتور. ٢) تحويل رواية (يوسف وأخوته) للكاتب الألماني (توماس مان) الى الشاشة. ٣) عمل فيلم عن حياة (دستويفسكي). ٤) تحويل رواية (الأبله) لدستويفسكي الى الشاشة. ٥) إنجاز فيلم (اليوم المضيء). ٦) تحويل رواية (الطاعون) لكامو الى الشاشة. لكنه لا يستطيع أن يحقق شيئا من هذه الخطط سوى مشروع فيلم (اليوم المضيء) والذي سماه فيما بعد (المرآة).

❖ في العام ١٩٧٤ ينتهي من فيلم (المرآة)، وهو سيرة ذاتية شديدة التعقيد. وقد قوبل الفيلم بالبرود والسلبية لذاتيته الكثيفة ذات الطابع الفرويدي، وكذلك لإلغائه الجوانب الدرامية التقليدية، ولغموض الحبكة وغرابة طريق السرد السينمائي، مما أدى لسوء فهم كبير ولتفسيرات متشنجة، رغم ان الفيلم نال جائزتين، ولكن في وقت متاخر (٧٩، ٨٠). وقد كتب تاركوفسكي في مذكراته بأن المخرج الايطالي (ميخائيل أنجلو أنتونيوني) كان في موسكو بتاريخ ٢٥ تموز من العام ١٩٧٥ وانه طلب شخصيا مشاهدة فيلم (المرآة)، فلم يستجيبوا لطلبه إلا عندما هدد بمغادرة المهرجان..!!وقد أعجب الفيلم (أنتونيوني) جدا فطلب مقابلة تاركوفسكي مباشرة، لكن المسؤولين في المهرجان وفي مؤسسة السينما عطلوا حصول مثل هذا اللقاء، متحججين بتعذر الآتصال بتاركوفسكي، لأنه ذهب الى بيته الصيفي ولا يمكن الاتصال به، حتى ولو تليفونيا..!!!!

❖ في العام ٧٦-١٩٧٧ يبدأ تاركوفسكي إخراج فيلم (ستالكر) المأخوذ عن قصة (نزهة على الطريق الجانبي) للكاتبين الأخوين (أركاديا وبوريس ستروكاتصي)، وهو آخر فيلم له في الاتحاد السوفيتي. وكان قد صوره بمكان قريب من

---

تتحدث في السياسة والحب

## من فيلم (امرأة الملازم الاول الفرنسي) الى مراسل اخباري .. كيف تُصلح ميريل ستريب تنكراتها؟

تيم تيمام

ترجمة: هاجر العاني

ها هي لعبة سينما محفوفة بالخطر ، الا وهي أي صوت او شخصية ستتبناها (ميريل ستريب) بعد ذلك ؟ فرقعة توقع تلازم كل تحول من تحولات الممثلة.

مؤخراً تبدو (ستريب) مجرورة للعب ادوار الشخصيات السيئة ، من المدمرة المهيمنة على عالم الازياء في فلم (ذي ديفل ويرز برادا ﷺالشيطان يرتدي البرادا) الى السياسية الميكافيللية المشرفة على التعذيب السري للمشتبه في كونهم ارهابيين في فلم (يُتدشن ﷺالاداء) والذي سيتم إفتتاحه في ١٩ من اكتوبر/ تشرين الاول ، ولكن الوجه ليس ثابتا على الاطلاق ، وفي فلم (إسود مقابل حملان) ، فلم احتفال التايمز الخاص بالمهرجان (والعرض الاول له في العالم) ، تكون صحفية عرضة للشبهة كما انها تتخذ منصات لامعة في فلم (ماما ميا!) مقابل (بيرس بروسنان) ، وتؤكد لنا هذه الحرباء البارعة قائلة " سأغني ولن أعمل في الدبلجة الصوتية ".

ومن بين مجموعة كبيرة حديثة من افلام هوليوود تستجوب صنع السياسة الامريكية والحرب فإن فلم (إسود مقابل حملان) هو الافضل نقلاً الى حد كبير ، وحيث ان الفلم من اخراج وتمثيل (روبرت ريدفورد) فإنه يبرز (توم كروز) بصفته السيناتور الطموح المتحمس للحرب (ايرفنغ) وشخصية (ستريب) الصحافية (جانين روث) عالقين بين حجر الرحى والاماكن الصعبة وهي الرغبة في الحصول على قصة لنشرها والمسؤوليات العائلية والاخلاق الصحفية ، ويأتي عنوان الفلم من قصة مشكوك في صحتها من الحرب العالمية الاولى ترويها الشخصية التي يمثلها (ريدفورد) وهو البروفسور الاكاديمي (مالي) ، والقصة مفادها ان جنرالاً المانياً كان معجباً بجنود الحلفاء ولكن ليس بقادتهم من المفترض انه قال :" لم أر في مكان أسود كهذه تقودها حملان كهذه" ، اما بالنسبة لـ (مالي) فيقول " لا يمكن لذلك التصريح ان يكون مطلوباً اكثر مما هو الآن".

ويريد (مالي) من (روث) ان تذيع قصة عن هجوم عسكري سيؤثر في حياة طالبين سابقين لدى (مالي) وهما جنديان في أفغانستان.

ومن المحتوم انه سينظر الى الفلم على انه مناهض للحرب رغم ان (ستريب) تصر على أنه يحتفظ بـ "إبتسامة المونالیزا" ازاء نقاط الخلاف ، ويقول السيناتور(ايرفنغ) لـ (روث) " هل تريد الفوز في (الحرب على الارهاب)؟ انه سؤال مثالي في زماننا للاجابة بنعم او لا ".

وتقول (ستريب) بأنه " كان في ذهنها الكثيرون" عند ابتداع شخصيتها التمثيلية وتضيف " فأنا مدمنة على الاخبار - في قنوات (سي- سبان ) و (بي بي سي) و(سي إن إن)" ، وهي تؤمن بأن الصحافيين "عمموا" القصة كلها " ثم أفادوا منها فيما بعد ، ولا يمكنك ان تكون خادماً لسيدين" ، وهي تبدي اعجابها بالمراسلين ككبير مراسلي مكتب (سي إن إن) في بغداد (مايكل وير) وتتمنى لو كانت "(كريستيان أمانبور) ﷺمراسلة الـ (سي إن إن)ﷺ غير إنني لست معدة لذلك".

ولشخصيتها التمثيلية في فلم (إسود مقابل حملان) والدة بحاجة الى رعاية طوال الوقت ، وتقول (ستريب) " يتخذ الناس القرارات لأسباب شخصية جداً ، ويمنح السيناتور (ايرفنغ) وسيلة الوصول لـ (جانين) وهو ما يسيل له لعاب الكثير من الصحافيين ، ففي هذه الادارة اذا لم تلعب بقواعدهم فإنك تكون ممنوعاً من دخول الدائرة المقفلة، فالصحافة ، وللحفاظ على خطوط اتصال داخل البيت الابيض ، لعبت الالاعيب التي لم تخدمهم على المدى الطويل".

وهي تشعر ان اعلان الحرب في العراق تم على فرضية زائفة وان العواقب كانت عبارة عن " كارثة ، فليس ثمة كلمة أخرى تصفها" ، مما يشعرها بـ " الاحباط ....ويبدأ الناس بالربط بين النقاط وتتبع الاثر الى حيث بدأ الامر".

وتتوقع (ستريب) " رد فعل كبير " على الفلم وتضيف " ليس لدي شك ، ونحن نستعد لذلك " ، فهل تريد لـ(بوش) ان يخرج من البيت الابيض ولـ (هيلاري) ان تدخله؟ هذه وقفة أخرى ، وتقول " يسعدني انه يبدو ان هناك تغييراً ، فالناس يحبسون أنفاسهم ، ولهذا السبب لا ترى الجماهير في الشارع - فكلهم يعلمون انه ﷺبوشﷺ مغادر ، وأظن انه ينبغي ان يكون نصف السناتورات من النساء ، نصف البرلمان ، نصف الملالي الحاكمين ، بيد ان ذلك لن يحدث أبداً يا عزيزي " وتضحك ضحكة مرحة .

و(ستريب) هي الاثنان معاً ، حادة التعليقات ومرتعشة ، وجدية بكل معنى الكلمة وغير موقرة ، وهي لا تود ان تكون ممثلة تنشأ في ضواحي نيو جرسي ، وقد كان والدها مديراً صيدلياً وكانت أمها فنانة تجارية . أما طموح (ستريب) الاول فكان أن تصبح مترجمة فورية ، فعندما كانت في سن العاشرة تقريباً أخذتها والدتها الى (الامم المتحدة) " حيث كانت هناك كل تلك النسوة في الحجيرات بسماعات الرأس ، وظننت أنه أمر رائع جداً ، فقد كن يأخذن لغة إحدى الثقافات ويترجمنها الى أخرى ، وكن يرتدين ألبسة وطنية ملونة بألوان كثيرة - لقد بدا الامر غريباً جداً ".

وقد تدربت (ستريب) لغناء الاوبرا حيث تقول " لقد كنت أصحف من أن أدرك مدى روعة ذلك ، وكنت ساذجة أكثر مما ينبغي فتخليت عن ذلك ، ولم أترعرع في أسرة كان أفرادها يتحدثون عن الاوبرا ، بل كنا نصغي الى (ايلا فيتزجيرالد) وفرانك سيناترا)"، وهي تظن أنها كانت ستستمر لتكون سوبرانو ، اما الآن فإن " أغنية (دانسنغ كوين) هي أقرب ما سأحصل اليه".

وقد درست الدراما في جامعتي (فاسار) و(يال) ، حيث تقول أصبحت اكثر جدية في ذلك فيما كنت أمضي في طريقي الا أنني لم اكن في الواقع واثقة وما زلت كذلك ، وأفكر دائماً عندما أكبر ماذا سافعل في حياتي؟، في البداية " ارتابت " في التمثيل " بطريقة متزمتة ، ولم يبد ﷺالتمثيلﷺ جدياً او مسهماً في إصلاح العالم " غير ان (ستريب) وسعت معتقداتها الاجتماعية الى أدوار معينة - كما في فلمي (سيلكوود) و(إسود مقابل حملان).

فحتى لو لم تكن ادوارها سياسية بصراحة فإنها تميل الى التعقيد ، وهي (جوانا كريمر) في فلم (كريمر ضد كريمر) ( والذي حازت عليه جائزة الاوسكار لأفضل ممثلة مساعدة عام ١٩٧٩ ) و (صوفي) في فلم (إختيار صوفي) (جائزة أوسكار لأفضل ممثلة عام ١٩٨٢) او دورها الذي يشكل عنوان الفلم في فلم (إمرأة الملازم الاول الفرنسي) ، فهي الممثلة الاكثر ترشيحاً لجوائز الاوسكار في تاريخ الجائزة .

وتقول " عندما أذهب الى السينما أود ان يفعمني الممثلون بالحيوية ويلهمونني ويحرضونني ، فحياتي ستكون أقل غنى وأقل فهماً من قبلي لولا عمل الاشخاص الذين أكن لهم الاعجاب ، فأنا أعتمد على ذلك كالغذاء ".

وقد يبدو ذلك تمثيلياً بسخافة ومتغطرساً الا أنه يقال بإحساس ، وكلمات مثل " السيدة المهيبة " و" العظمى" و"الاروع" تكون عادة ملقاة في اتجاه (ستريب) ، اذ تقول " لا يعني ذلك شيئاً لي ، ولا يدخل الى داخلي ، لا أستطيع ، كيف يمكنه ذلك؟ لا يبد الامر كما لو أنني لم أحاول تصديقه " وتشير إلى ذلك قائلة " لكنني لا أصدقه، فهم يقولون ذلك عني لأنني في الميدان منذ أمد طويل ".

وهي تدعي ان كل تغير الوجه الواعي لذاته وتغيير اللهجة وكل الطرق الميريلية (نسبة الى ميريل) التي نراها في اداءاتها " هي عبارة عن ما ظننت دائماً انه ماهية التمثيل ، ولم أفكر أبداً في نفسي بصفتي (ميريل ستريب) الممثلة هناك ، مظهرة (ميريل ستريب) في كل مرة ، وبالنسبة لي إننا اكثر بكثير مما هو شكل أنفسنا المفردة ، اذ نحمل فينا كل شيء وكل شخص - فحمضي النووي يعودان الى (شارلمان)❖- ولا أشعر بأنني اختلف كبير اختلاف عنك ، وعلى الارجح قد أشعر بما أحسه عندما اكون أنت لو أنني درستك ".

وهي تقول ان هذه الشخصيات " موجودة فيك قبل ان تنشأ ، انها كالامومة ، فأنا أعتقد أنك دائماً الام التي ستكونين عليها حتى لو كنت فتاة صغيرة ، فكون الامر لديك في داخلك هو شيء مفهوم حقاً- كل تلك الاخطاء التي سترتكبينها وكل الاشياء التي ستقومين بها بشكل صحيح ".

هل سبق لها أن رغبت بالتخلي عن التمثيل؟ فتجيب بسرعة " أوه. اود ان اتخلى عن تجارة الفن ، التمثيل مسكر ورائع الا ان تجارة الفن - التجارة - جرافة " ، وهي تبغض مراقبتها علانية " شاعراً بالوعي بنفسك"، وهذا أمر ساحر لأنها كما تعترف فيما بعد ، تحب ملاحظة الآخرين ، وتقول " دائماً ما أفكر لماذا يراقبونني ؟ أريد التفرج عليها" ، وفي المطاعم فإن زوجها لمدة ٢٩ عاما النحات (دون غومر) يشكو لأنها دائماً تسترق النظر ، وهي تقول " أنا مجرد أحب القصص ".

ويتسرب كل هؤلاء الناس والاحاديث إلى داخل (ستريب) ، اذ تقول " أنا بالفعل أتشرب قليلاً ، فأولادي يضحكون عليّ لأنني عندما أتحدث بالهاتف الى شخص ، فلنقل من جامايكا ، فإنني أنهي المكالمة وأنا أتحدث اللغة الجامايكية، إنه أمر محرج جداً الا أنه غير مقصود " ، إذاً فهي تشعر بسعادة عندما تؤدي شخصيات الآخرين أكثر من سعادتها عندما تظهر علانية كما هي نفسها؟ حيث تقول " سيخبرك الكثير من المشاهير الامر نفسه ، فهم يرغبون في ان يكونوا كما كانوا في سن الثانية عشر - يمشون في الشارع وهذه الامور البسيطة ".

والغفلية ❖❖ النسبية يضمنها العيش في نيويورك وقد أخذت (ستريب) إجازات من التمثيل لرعاية أطفالها الاربعة ، وقد قامت احداهن (وإسمها مامي) بلعب دور (ستريب) وهي أصغر سناً في الفلم الاخير (ايفينغ) ورغم أن (ستريب) تمازح في أنها حثتها على ان تتخصص في الاحياء الجزيئية اكثر من التمثيل الا أنها فخورة بظهور (مامي) الاول .

وتقول كان " من العسير جداً والمجزي جداً " الموازنة بين التمثيل ورعاية الاسرة ، وتضيف " لا أستطيع تصور حياة بشكل مختلف غير أنها حياة معقدة بشكل رائع " ، بسبب التسويات ؟

فتقول " كل يوم ، فأنت تشعر دائماً بأنك ينقصك شئ ما الا أنه تتم مكافأتك من جانب آخر ، وهو شئ تفهمه كل إمرأة " ، فهل وازنت الامور جيداً ؟ ، تقول " كلا ، لا أعلم ، وهيئة المحلفين في الخارج - اذ لم يسجن أحد بعد " ، وهي ما زالت تحضر اجتماعات اولياء الامور لاصغر اولادها وهي (لويزا) (١٦ عاما) وتقول " إنها فتاة مشغولة " مع الضحكة الكئيبة للوالدة المرهقة المحبة .

وبعد فلم (ماما ميا!) ستظهر في فلم (داوت ﷺالشكﷺ) وهو فلم (جون باتريك شانلي) من مسرحيته ، امام (فيليب سيمور هوفمان) وقد تعمل اعمالاً مسرحية اكثر بعد ان ظهرت في (شجاعة أم) في نيويورك العام الماضي .

وفيما تتقدم (ستريب) في السن تقول إنها أصبحت اكثر صرامة مع نفسها وأدائها ولكن بالنسبة لبلوغ الستين خلال عامين .....

فتقول " أوه يبعد ذلك عني أميالاً، لقد فقدت ما يكفي من الناس ومرض ما يكفي منهم لاعلم بأن كل الناس الذين ينتحبون على تقدمهم في السن يجب ان يخرسوا"، لماذا؟ ، فتقول نصف صارخة بسخط " لأن الذين لم يعودوا موجودين هم الذين لم يستطيعوا النجاح في الوصول الى هذا البعد . يا إلهي يا له من شئ لننتحب عليه ، تخيل! لا أطيق صبراً على ذلك ، ونحن مجرد محظوظون لوجودنا هنا ، نحن محظوظون في كل ثانية".

وتطلق ضحكة رنانة ثم تخفض صوتها قائلة " هذا ما أظنه ".

عن التايمز